مواقف جاهلية مع خير البرية

إعداد ودراسة

قسم التحقيق بالدار

إشراف

عبد الله علوان

دار الصحابة للتراث بطنطا

ت ٣٢١٥٨٧ ص ب ٤٧٧ ٢٠

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:
طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسالة

أخى المسلم .. فى رسالة سابقة ، من سلسلة الآداب الإسلامية التى توالى دار الصحابة للتراث إصدارها ، صدرت رسالة بعنوان « الأدب مع رسول الله ﷺ ، واليوم ، أنت على موعد معنا ، ندعوك إلى هذه السلسلة الجديدة من سلسلة الآداب الإسلامية ، قد يظنها القارىء لأول وهلة – أنها امتداد لسابقتها ، وهى كذلك ، إلّا أنها تنحو نحوًا جديدًا فى نظرتها للأمور ، وكيفية معالجتها للقضايا الإسلامية المطروحة على الساحة الآن ، فعلى سبيل المثال ، إذا كانت سلسلة الآداب الإسلامية تركز على تنبيه المسلم إلى الآداب الكريمة والفاضلة التى ينبغى اتباعها والالتزام بأصولها والتمسك بأحكامها ، فإننا هنا فى هذه السلسلة ، سوف نلفت انتباهك إلى ما يضاد هذه الآداب من التصرفات والسلوكيات التى لا تليق بالمسلم ؛ ولا ينبغى له أن يتصف بها ، حيث إن فى اقترافها جفاء طبع ، وسوء خلق ، وقد تصل بمرتكبها إلى الكفر بالله ، نعوذ بالله من ذلك .

ونحن إذ نقدم لك هذه السلسلة ، ندعو الله العلى القدير والذى بيده مقاليد الأمور ، أن يلهمنا وإياك الصواب ، وحسن المآب ، وجزيل الثواب ، إنه نعم المتفضل الوهاب .

الحب هو الأصل

أخى المسلم ...

إذا سألت مسلماً – أى مسلم – فى مشارق الأرض ومغاربها عن حبه واحترامه ، وتوقيره وتعظيمه لرسول الله ﷺ ، فلن تجد جواباً عن هذا السؤال إلا بما يفيد الإثبات ، بل ستجد فى الإجابة ما يفيد بأن قلوبهم حرّى ومولعة بهذا الحب ، لن تجد غير ذلك ، بيد أننا إذا نظرنا إلى أفعال الناس وسلوكياتهم وتصرفاتهم وجدناها تناقض ذلك الحب الذى زعموا !! وتكاد تنطق بحقد دفين ، وكفر مبين !!

لا يأخذنك العجب مما أقول !؛ فعما قريب ستنكشف الستور ، وتتضح الأمور .

عدم الطاعة لرسول الله ﷺ
ســوء أدب معــه

كيف ؟!

ألا ترى –أخى المسلم– أن معظم المسلمين ، بل كلهم يدعى حب رسول الله ﷺ ، فإذا ناقشته فى أمر مسلم به من أمور الدين ، وقلت له : إن الله يقول كذا ، والرسول الكريم ﷺ يقول كذا ، أشاح بوجهه ، وأعرض ونأى بجانبه !!

وإنى سائلك ولن أجيب ، هل مثل هذا الإنسان ، يحب الله ورسوله ؟

إن مثل هذا التصرف من الإنسان – الذى يدعى الإسلام – فيه سوء أدب مع رسول الله ﷺ ، الذى أمرنا باتباعه والنزول على حكمه ، بل إننا لن نؤمن ، ولن يحسن إيماننا حتى نخضع كل الخضوع ، ونسلم كل التسليم بكل ما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ فَلَا

﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٥]

إن الإنسان إذا شعر بالحرج والضيق إذا تُلى عليه قول الرسول ﷺ ، فى مسألة من المسائل ، فاعلم أن إيمانه غير كامل ، واعلم – أيضاً – أنه يسىء الأدب مع رسول الله ﷺ .

والواجب على المسلم أن يكون كما أراد الله للمؤمنين حيث قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦]

هكذا ينبغى للمسلم أن يسلم تسليمًا مطلقا لكل ما جاء به الرسول ﷺ ، وإنى لأذكر قصة دلك الأعرابى الذى جاء إلى الرسول ﷺ ، وقال له : يا محمد : اعدل . فرد عليه الرسول ﷺ ردًا ألجمه وأفحمه قال :

« ويلك ! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى يارسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال ﷺ : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن ، لا يتجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية » رواه البخارى ومسلم .

لقد ظن هذا الخاسر أنه على صوابَ وأساء الأدب مع رسول الله ﷺ ، فماذا كانت النتيجة ؟ لقد أبان الرسول الكريم حاله ومن على شاكلته ، إنهم خرجوا من الإسلام كلية ، فاحذر أخى المسلم أن تسىء الأدب مع رسول الله ﷺ .

رفع الصوت رعونة وسوء أدب

من منا ينكر أن الصوت الهادىء الرخيم محبوب إلى نفوسنا ؟

ومن منا ينكر أن الصوت الهادىء الوقور يبعث على احترام صاحبه ؟

ومن منا ينكر أن الصوت المرتفع الصاخب يبعث على احتقار صاحبه ؟

ومن منا ينكر أنْ الشخص الجهورى الصوت فى غير حاجة هو شخص سيىء الأدب ؟

لا يستطيع المسلم الحق أن يجيب إلا بما يؤكد ويؤيد صحة هذه الأسئلة ، فالصوت الهادىء الرخيم الوقور محبب إلى نفوسنا ، كما أن الصوت المرتفع الصاخب والجهورى فى غير حاجة مكروه عند الإنسان السوى المعتدل ، واقرأ معى وصية لقمان لابنه وهو يعظه ، قال تعالى : ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٩]

وإذا كان الأمر كذلك مع بعضنا البعض ، فما بالك إذا رفع أحدنا صوته فوق صوت النبى ﷺ ؟

تعال معى ؛ نستمع إلى قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ

أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ٢]

بكل وضوح لا لبس فيه ، جاء النهى عن رفع الصوت فوق صوت النبى ﷺ ، وجاء الإنذار والتحذير موضحًا عاقبة من يخالف ذلك ، إنه الخسران فى الدنيا والآخرة .

هل هناك خسران وبوار ، وكساد تجارة ، وسوء حال ، أفدح من أن تحبط الأعمال الصالحة وتفسد ، وهى رأس مال المؤمن ؟!

وانظر أخى المسلم إلى سياق الآية : ﴿**أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ إن حبوط الأعمال وذهابها هباءً منثوراً لا يتم عيانًا بيانًا وفى إدراك من الإنسان وإحساس وشعور منه ، ولكنه يتم خفية ودون شعور ، ويحسب الإنسان أن عنده من الثواب والحسنات ما يدخله جنة نعيم ، فإذا جَدَّ الجِدُّ ووقف بين يدى خالقه أحكم الحاكمين ، وبحث عن أعماله الصالحة ، لم يجد شيئا ينفعه ، وكانت أعماله كما قال الله تعالى : ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] ويكون جزاؤه أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان : ٢٣]

وتعال معى نعرف موقف الصحابة –رضى الله عنهم– لما نزلت هذه الآية .

(أخرج البخارى وابن المنذر والطبرانى عن ابن أبى مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا – أبو بكر وعمر – رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ، وأشار الآخر برجل آخر ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافى ، قال : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما فى ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿**يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى**﴾ الآية . قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه) [الدر المنثور ٧/٥٤٨] .

وأخرج البزار وابن عدى والحاكم وابن مردويه عن أبى بكر الصديق قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى** ﴾ قلت يارسول الله والله لا أكلمك إلا كأخى السرار . [الدر المنثور ٧/٥٤٨] هكذا كان الصحابة – رضوان الله عليهم – فى حسن الأدب مع رسول الله ﷺ ، وإنهم ليضربون لنا المثل الأعلى فى كيفية احترام الرسول ﷺ وعدم الإساءة إليه ، بل إنهم لم يكونوا ليجرؤوا على ذلك وقد نهاهم القرآن وحذرهم عاقبة ذلك ، فهل نتخذهم قدوة لنا ؟ وهل نجعل منهم مثلاً أعلى لنا ؟

وقد يسأل سائل ، كان ذلك حين كان الرسول حيا ، فكيف يكون رفع الصوت بعد وفاته ؟

إذا كان الله تعالى قد اختار النبى ﷺ إلى جواره ، فإنه ﷺ ، موجود بيننا برسالته ، وسنته ، وهديه ، وتوجيهه لنا فى كل كبيرة وصغيرة ، وكل إعراض ورفض لأىٍّ مما جاء به الرسول ﷺ ، فهو سوء أدب معه ، ورفع صوت عليه ، والواجب على المسلم إذا سمع أحدًا يقول : قال رسول الله ﷺ ، أن يخضع ويخشع ،

ويصيخ السمع ، ويقول كما قال الله تعالى على لسان المؤمنين : ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥]

وكل تمسك برأى ، أو أخذ بقول يعارض سنة الرسول ﷺ ، هو سوء أدب معه ﷺ ، ورفع صوت عليه .

فالحذر الحذر – أخى المسلم – من رفع صوتك فوق صوت النبى ﷺ ، فيحبط عملك ثم لا تجد من دون الله وليًا ، ولاسلطانًا نصيراً .

عدم اتباع السنة سوء أدب مع الرسول ﷺ

اعلم أخى المسلم أن اتباع سنة رسول الله ﷺ ، واجبة على كل مسلم ومسلمة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [سورة الحشر : ٧]

إذا كان الأمر كذلك ، فما بال أناس منا يعرفون السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، ثم يولون وجوههم قبل المغرب والمشرق ويتبعون نظريات فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان ، لا سند لهم ولا حجة في اتباعها سوى أنها جاءت عن المشرق أو المغرب ، ألا ساء ما يفعلون ، فإن فعلهم هذا سوء أدب مع رسول الله ﷺ ، حيث إنهم تركوا سنته ، واتبعوا أهواءهم ، والله تعالى يقول على لسان نبيه المصطفى ﷺ : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [سورة آل عمران : ٣١]

إن الطريق إلى الفوز بحب الله تعالى واحد فقط ، ألا وهو اتباع الرسول ﷺ ، والاقتداء به ، فاللهم ألهمنا حبك وحب من يحبك ، وأهدنا صراطك المستقيم .

الابتداع فى الدين سوء
أدب مع الرسول ﷺ

اعلم أخى المسلم أن النبى ﷺ ، بلغ هذا الدين كاملاً عن رب العزة ، ولقد شهد الله تعالى للرسول ﷺ بأنه بلغ الرسالة كاملة فقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس فيه فهو رد » رواه البخارى .

فالله سبحانه وتعالى شهد لرسوله ﷺ ، بأنه قد بلغ هذا الدين كاملاً لا نقص فيه ، والرسول ﷺ ، حذر الناس ، كل الناس ، من أن يحدثوا فى هذا الدين ما ليس منه أو يدخلوا عليه ما تمليه عليهم أهواؤهم ، أو تستحسنه نفوسهم ، مما لا أصل له فى كتاب الله أو سنة رسوله ، فإن النفس أمارة بالسوء ، ألا وإن الشيطان

مازال يزين لأوليائه أمورًا يحسبونها من الدين ، وهى كفر مبين ، وإن الإنسان ليعجب من هؤلاء المبتدعين فى دفاعهم عن بدعهم ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولو وزنوا بدعهم بميزان الإسلام الصحيح ، الذى لا تشوبه شبه المبطلين ، لبهتوا ، ولرجعوا إلى نفوسهم باللوم ، ولكن أنّى لهم ذلك والشيطان يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

وإليك أخى المسلم بعضا من البدع التى ألصقت بالدين ، والدين منها براء :

١ – بدع الاعتقاد فى أن الأموات ينفعون الحى والتوسل إلى الله بهم .
٢ – بدع بناء القبور فى المساجد ، وزيارتها .
٣ – بدع الجنائز والمآتم وعادات الناس فيها .
٤ – بدع الأعياد والمواسم .
٥ – بدع العبادات .
٦ – بدع ومنكرات الأفراح .
٧ – بدع أرباب الطرق .

إلى غير ذلك من البدع التى بلى بها المسلمون فى عصرنا هذا(١) .

إن الذين يزعمون أن هذه البدع من الدين ، قد أساءوا الأدب مع الرسول ﷺ ، لأنهم يتهمونه بأنه لم يبلغ الرسالة كاملة ، والله يشهد بأنهم كاذبون ، ومن أصدق من الله قيلا ؟!

ألا فليتق الله ربه ، كلُّ ذى بدعة ، ولينته ، وليتب إلى الله قبل فوات وقت التوبة ، والله أسأل أن يرزقنا الاتباع وأن يجنبنا الابتداع .

ذكر اسمه مجردًا سوء أدب معه ﷺ

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[الحجرات : ٤]

---

(١) يراجع كتاب : الإبداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ وكتاب السنن والمبتدعات للشيخ الشقيرى .

أخرج ابن جرير وأبو القاسم البغوى وابن مردويه والطبرانى بسند صحيح من طريق أبى سلمة بن عبدالرحمن عن الأقرع بن حابس أنه أتى النبى ﷺ ، فقال : يامحمد أخرج إلينا ، فلم يجبه ، فقال : يا محمد إن حمدى زين ، وإن ذمى شين . فقال : « ذاك الله » فأنزل الله : ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ [الدر المنثور ٧/٥٥٢] .

لقد تجرأ هذا الأعرابى ، وتعد حدوده ، وأساء الأدب مع رسول الله ﷺ ، وناداه باسمه مجردًا قائلاً (يا محمد) فماذا كانت النتيجة ، نزل فيه قرآن يتلى .

وهكذا كل من يفعل ذلك ، أكثرهم لا يعقلون ولا يفقهون ، لقد عميت بصيرتهم ، فأصبحوا شرًّا من الدواب الصم البكم ولو أنهم يعقلون حقًّا ، لعلموا أن الله تبارك وتعالى كرم نبيه ، فلم يذكر اسمه مجردًا فى القرآن بل كان يناديه بـ (ياأيها النبى .. ياأيها الرسول .. محمد رسول الله ..) وهكذا يعلمنا الله تبارك وتعالى كيف كون الأدب مع الرسول ﷺ عند ندائه ، فينبغى لك – أخى المسلم – أن تتأدب بأدب القرآن عند

ذكر اسم رسول الله ﷺ ، فلا تذكره إلا مقرونًا بالرسالة أو بالنبوة ، ولا تنس أن تصلى وتسلم عليه كلما ذكر ، فإن الصلاة عليه ﷺ من موجبات رحمة الله تعالى بالمسلمين جاءت بذلك الأحاديث ، فعن أنس أن النبى ﷺ جاء فصعد المنبر فقال : « آمين » . ثم قال : « آمين » . ثم قال : « آمين » . قال : « أتانى جبريل فقال : من ذكرت عنده فلم يصل عليك فدخل النار، فأبعده الله ، فقلت : آمين ... » .

المغالاة فى مدحه سوء أدب معه ﷺ

وهذه الصورة مقابلة تمامًا للصورة السابقة ، فإنه إذا كان من حسن الأدب مع الرسول ﷺ عدم ذكر اسمه مجردًا ، فإنه هنا لا ينبغى المبالغة فى مدحه ﷺ ، إلا بما وصف به نفسه وأجازه ، فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عباس سمع عمر –رضى الله عنه– يقول على المنبر ، سمعت النبى ﷺ يقول : « لا تطرونى ، كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله » . ولما كانت المبالغة

فى المدح تفضى إلى أشياء لا تحمد عقباها ، فإنه قد نهانا عنها وضرب لنا مثلاً بالنصارى ، بالغوا فى إطراء السيد المسيح عليه السلام حتى جعلوه ابنا لله – حاشا لله أن يكون له ولد – لقد قالوا قولاً إدًّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتخر الجبال هدًّا ، سبحانك ربنا ما ينبغى لنا أن نقول ما ليس لك بحق .

ورغم ذلك فقد تعدى بعض المسلمين هذه الحدود ، ووصفوا الرسول ﷺ بصفات هى من صفات الله ، وخذ مثلاً على ذلك ما فعله البوصيرى فى البردة ، وأصبحت هذه البردة قرآنًا يتلى عند أصحاب الطرق الصوفية ، ويعدون قراءتها قربى لله وللرسول والله ورسوله بريئان مما قاله البوصيرى فى بردته ، وخذ مثلاً آخر ، دأب المبتدعة من المؤذنين أن يقولوا فى الأذان : ياأول خلق الله وخاتم رسل الله – فأما أنه خاتم رسل الله فهذا حق ، وأما أنه أول خلق الله ، فهذا مالا نعرفه ولا قرأناه فى القرآن ولا أخبرتنا به السنة المطهرة ، فلماذا إذن يمدحه البعض بما يخالف الكتاب والسنة ؟!

إن الجواب عن هذا لا يعدو أن يكون عدم أدب مع رسول الله ﷺ .

فتنبه - أخى المسلم - من مثل هذه الأمور ، لعلنا نفوز بشفاعة المصطفى ﷺ .

صور أخرى من إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ

١ – أن تسمع اسمه الشريف ﷺ ، ولا تصلى عليه ، لحديثه ﷺ : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ »[1] .

٢ – أن يقدم الإنسان حبه لأشياء دنيوية على حبه لرسول الله ﷺ ، فهذا عمر بن الخطاب يقول : يارسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى ، فقال النبى ﷺ : « لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » .

فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلىّ من نفسى .

---

(١) رواه الترمذى (٣٥٤٥) ، وأحمد (٢/٢٥٤) ، والحاكم (١/٥٤٩) وقال الألبانى فى إرواء الغليل (١/٣٦ ح٦) حديث صحيح .

فقال النبى ﷺ : « الآن يا عمر » رواه البخارى .
أى الآن قد كمل إيمانك .

٣ – ومن إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ : أن يروى الإنسان أحاديثًا مكذوبة وموضوعة ثم ينسبها لرسول الله ﷺ ، لقوله ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وبعد أخى المسلم .. اقرأ معى قول الشاعر وهو يحثنا على طاعة الله ورسوله فقال :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

وأخيرًا : أسأل الله العظيم أن يلهمنا حبه وحب من يحبه وأن يلهمنا حب رسوله وحب من يحب رسوله .

وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

* * *

تم الكتاب وربنا محمود
وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبى محمد صلواته
ما ناح ورق وأورق عود

الفهـــرس